لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

اخترنا للطالب

# وعد بالفوز

بقلم الدكتور
حسين فوزي النجار

اخترنا للطالب – ٤٧

# وعدٌ بالفوز

بقلم الدكتور
حسين فوزي النجار

# الى الرئيس جمال عبد الناصر . . .

من خلال الضباب الذى خيم على أرض المعركة . .

ومن فحيح الخيانة فى صفوف القيادة . .

ومن أصداء الأسلحة الفاسدة التى تكسرت فى صدور الشهداء .

لمست طريق المستقبل . .

وتبينت أمل العرب . .

وعرفت الوسيلة والغاية . . .

فكانت ثورتك . .

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

فارق الهدى من الضلال . والخير من الشر . والقوة من الضعف ، والعدالة من الظلم .

فعلى بركة الله سيرك وبيمنه توفيقك .

المؤلف

# أحلام ضالة

فى الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ ، تلقى لورد روتشيلد خطابا من لورد بلفور وزير الخارجية البريطانية على لسان حكومته يقول فيه :

« يسرنى كثيراً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والإرتياح إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وإنها ستبذل خير مساعيها لتيسير الوصول إلى هذه الغاية ، على أنه يجب أن يفهم فهما صحيحاً أنه لن يسمح باجراء ما من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية التى تقيم فى فلسطين ، أو تمس الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى البلدان الأخرى » .

وكان مضمون هذا الخطاب هو ماعرف بوعد بلفور . ذلك أنه صدر على لسان لورد بلفور وزير الخارجية البريطانية فى وزارة لويد جورج ، وإن جاء فى صورة خطاب وجه إلى الزعيم المالى للحركة الصهيونية لورد روتشيلد ، إلا أنه يمثل رأى

الحكومة الانجليزية ويتضمن اعترافاً رسمياً بحق اليهود فى وطن قومى فى فلسطين .

وليس لهذا الاعتراف أى سند قانونى فلا تملك أية دولة أن تمنح حقاً لنفسها ولا لغيرها فيما لاتملك وليس له بالتالى قيمة دولية مالم تسنده القوة البعيدة عن الحق . ولا يصح أن نسميه وعداً . فان تعد بشيء فلا بد وأن تكون قادراً على تنفيذه . أو الوفاء به ولاتملك تنفيذ شيء إلا فيما تملك ولم تكن فلسطين ملكا لبريطانيا ولم تكن حتى ذلك الوقت تدين لها بنوع من التبعية والخضوع ولا تكون هذه القدرة فيما لاتملك إلا بالقهر ثم التسلط ومعنى ذلك أن تحقيق هذا الاعتراف أو الوعد مرتبط منذ البداية بهذين العاملين : القهر ثم التسلط . فلابد أن تقهر بريطانيا فلسطين ثم تتسلط عليها لتفرض عليها هذا الاعتراف أو لتنفذ غصبا عنها هذا الوعد .

تلك هى الخطوات الحتمية لتنفيذ مثل هذا الوعد أو قيام هذا الاعتراف . لذلك ارتبط هذا الوعد بالنتائج التى يمكن أن تتمخض عنها الحرب الدائرة وما يسفر عنه موقف حلفاء بريطانيا منه

إلا أنه بالرغم من كل هذا قد أعطى اليهود دعامة يستندون

عليها فى المطالبة بما يدعون من حق فى أرض الميعاد .

بداية الطريق :

ولم يكن وعد بلفور بداية الطريق التى سلكها اليهود لاغتصاب فلسطين بل كان بداية الخطوة الأولى فى هذا الاغتصاب .

أما البداية فإنها تعود إلى سنوات سبقت ذلك .

فى عام ١٨٩٦ ظهر كتاب تيودور هرزل «الدولة اليهودية» فانتقل بالمشاعر القومية لليهود من دور الأمانى والأحلام إلى دور الدراسة والتطبيق . فقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتعلقون بوهم باطل صبغ حياتهم بكثير من المآسى والآلام ، وهو أن فلسطين وطن لهم ميراثا قدسيا عن آبائهم وإنهم شعب الله المختار خصهم وحدهم بالبركة والرسالة .

والوهم باطل إذ أن الوعد بفلسطين لابراهيم وذريته لايجرى على أبناء اسحق كما يجرى على أبناء إسماعيل، وكان مصداق الوعد الإلهى الذى خص الله به ابراهيم وذريته من بعده بالنبوة والرسالة وأن تكون أرض الميعاد « من نهر مصر إلى النهر

الكبير نهر الفرات (١) ملكا لهم ولأبنائهم ، قد تحقق للإسماعيليين دون الإسرائيليين ، فانتهت اليهم النبوة بمحمد « صلى الله عليه وسلم » خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأصبح الإسماعيليون سادة الهلال وأصبح نسلهم كعدد نجوم السماء (٢) والإسماعيليون هم العرب والإسرائيليون هم اليهود .

وكان تعلق اليهود بهذا الوهم سر ماحاق بهم من نكبات وكان سبباً فى عزلتهم عن المجتمع الانسانى فعاشوا أغرابا فى كل مجتمع حلوا فيه وكان تعصبهم الدميم المقيت هو الذى يثير عليهم تلك المجتمعات ويدفعها إلى إضطهادهم والتنكيل بهم . وأورثهم كثيراً من عقد النقص التى طبعت أخلاقهم وسلوكهم بطابعها ، فانفردوا دون الناس بالحقد الاجتماعى والتعصب الدينى والعنصرى والسادية الباغية إذ ينتشون بالتعذيب والقتل وسفك الدماء ، وهم أذلة مستضعفين إذ يستضعفون ، وجابرة عتاة

---

( ١ و ٢ ) إشارة إلى نبوءات التوراة التى تعد إبراهيم بكثرة النسل وإنهم يرثون أرض الميعاد ملكا أبديا ويكون منهم ملوك وأمراء وقد أثبت المؤلف فى كتابه « أرض الميعاد » أن الوعد كان للعرب وأنه تحقق فيهم دون اليهود .

إذ يملكون، النفاق شعارهم، والغدر ديدنهم ، والخديعة سمتهم ، والمكر وسيلتهم ، لاتطيب لهم حياة إلا بين الفتن والمؤامرات، كسالى لايعملون يعيشون كالطفيليات يمتصون دماء الشعوب ولا يخدمونها ويبتزون أموالها بالمقامرة والسمسرة والربا ، كل منهم فى تكوينه « شيلوك »(١) . . وكل منهم فى أعماقه يهوذا الاسخريوطى (٢) .

لذلك عاشوا طوال تاريخهم مذمومين مدحورين لايقومون من مصيبة إلا ليقعوا فى مصيبة أخرى شتتهم « سرجون الثانى » ملك أشور كل مشتت حين ضاق بمؤامراتهم وقضى على مملكتهم.

وحطم « السامرة » حاضرتهم وأسكنها غيرهم عام ٧٢١ ق م وكانت السامرة حاضرة مملكة إسرائيل الشمالية ، ولم يعثر لبنيها بعد على أثر بل اختفوا من التاريخ ، إختفاء تاما . وبقى يهود الجنوب وكانوا أقل عددا - إذ كانوا سبطين من أسباط إسرائيل بينما كان أهل السامرة عشرة أسباط فى مملكة يهوذا قرنا ونصف بعد

---

(١) شيلوك المرابى اليهودى فى مسرحية ( تاجر البندقية ) لشكسبير وقد أبى إلا أن يستوفى دينه لحما حيا من جسد مدينه إذا مافاته يوم الوفاء

(٢) يهوذا الخائن الذى وشى بالسيد المسيح عليه السلام .

سقوط السامرة حتى ضاق بهم نبوخذ نصر ملك بابل بعد أن غدت أورشليم مركز التآمر ضده فاجتاحها عام ٦٠٤ ق م ومزقها شر ممزق وأمر فنهبت أورشليم وأحرقت وحمل من بقى من القتل سبايا إلى بابل . وهناك أقاموا حتى استولى «كورش» ملك الفرس على بابل عام ٥٣٨ ق . م . ففك أسارهم وأرجعهم إلى أورشليم ليسكنوها من جديد ، ولكن لم تقم فيها قائمة وظلوا شعباً تابعاً يخضع لكل غالب ويجبر على الولاء لكل حاكم أصيل أو طارىء ، حتى دانوا للدولة الرومانية فلم تلبث أن ضاقت بهم ولم تر خلاصاً منهم إلا بالقضاء عليهم قضاء تاما فسيرت اليهم قائدهم تيتوس عام ٧٠ م . فاقتحم أورشليم وأشعل فيها النيران وقتل كل يهودى عثر عليه حيا فكانت نهاية الشعب اليهودى ولم يعد منهم من يقيم فى فلسطين غير قلة تعيش على الكفاف .

وبدأ اليهودى التائه منذ ذلك الحين تجواله الأبدى .

إلا أنه لم ينس فلسطين ، فقد كان الوهم الباطل يسيطر على كل جارحة فيه . فلم يتعظ بما حاق به وظل يحلم بالعودة اليها ولم يشأ أن يدرك أن فلسطين لم تكن له فى يوم من الأيام ولم يعد ملك داود وسليمان فى أقصى اتساعه منطقة التلال الداخلية

فى فلسطين وهو أقصى ما وصل اليه ملك اليهود فيها من اتساع وبقيت فلسطين خالصة لبنيها من العرب الذين نزلوها وأقاموا بها قبل أن يعبر اليها إبراهيم وأهله من أور الكلدانيين .

وبقى هذا الحلم ـ حلم العودة إلى فلسطين ـ يراود ذلك اليهودى التائه جيلا بعد جيل والأيام تمتد والسنين تطول لتصبح قرونا وآمادا دون بارقة من أمل ، فقد غدت الأمة العربية تحت لواء الاسلام أمة واحدة عزيزة الجانب تضم جناحيها على وطن يمتد من شطئان الخليج العربى شرقا إلى سيف الأوفيانوس غربا ومن جبال أرمينية شمالا إلى سهوب السفانا جنوبا وتحتق فى الأمة العربية الوعد الالهى لابراهيم عليه السلام بأن تكون أرض الميعاد من « نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » ملكا لنسله من بعده وأن يصبح نسله كعدد نجوم السماء وأن يكون منهم ملوك وأمراء ، وهذا الوعد الإلهى هو الذى ادعاه اليهود لأنفسهم وكان سر نكبتهم رغم أنهم لم يملكوا فى يوم من الأيام فلسطين ولم يكونوا قط كثرة يمكن أن تقرن بعدد نجوم السماء ، بل كانوا وما زالوا قلة ضائعة فى خضم المجتمع الإنسانى الكبير ، بل فى خضم المجتمع العربى الفسيح إذا ماقيس اليه .

إلا أن اليهود لم ينسوا فلسطين قط . وكان كل أمل يراود أحلامهم فى التجمع بعد الشتات ينتهى بهم إلى فلسطين ، وكثيراً ما كان الأمل يستبد بهم استبداداً يصل بهم إلى الجنون ففى القرن السادس عشر قام يهودى مخرف هو « دافيد روبينى » يدعو بنى ملته إلى غزو فلسطين وانتزاعها قهراً بتأييد أقطاب اليهود فى أوربا ظنا منه أن تأييدهم كفيل بتذليل الصعاب أمامه ولعله كان يحلم بصليبية جديدة كصليبية بطرس الناسك تحمل بدل الصليب نجمة داود تيمنظ حماس اليهود لفلسطين كما أيقظت حملة بطرس الناسك حماس الصليبيين لبيت المقدس .

إلا أن مشروع « دافيد روبينى » لم يكن غير شطحة خيال عارم ولدت ميتة ، فقد كان يهود أوربا فى ذلك الوقت أسارى المحابس أو « الجيتات (١) » كما تعرف يلوذون بها بعيداً عن احتقار المسيحيين وازدرائهم ، ولم تكن لهم كل حريات المواطن العادى حتى أخذت مبادىء الثورة الفرنسية تعم أوربا وأفاد اليهود منها فتمتعوا بالمساواة مع غيرهم من المواطنين .

---

(١) دأب البلاد على اتخاذ أحياء خاصة لإقامتهم بعيداً عن غيرهم هى التى عرفت « بالجيتو »

وعمل اليهود على الإفادة من ذلك فقام « موسى مندلسون » فى ألمانيا يدعو قومه إلى الخروج من عزلتهم والاندماج مع جيرانهم من المسيحيين والأخذ بعاداتهم وثقافتهم ، وسرعان ما امتـــدت دعوته إلى بقاع أخرى من أوربا وظهرت حركات شبيهة تدور جميعاً حول ضرورة خروج اليهود من عزلتهم التقليدية .

وكان هذا قمينا بتخفيف حدة العداء لليهود وخاصة بعد أن خفت موجة التعصب الدينى ولم يعد لها من الاندفاع ما كان لها فى العصور الوسطى .

اليقظة القومية :

وإذا كانت الحرية التى تمتع بها اليهود فى المجتمع الأوروبى الجديد والمساواة بينهم وبين غيرهم من المواطنين قد حملتهم على هجر «الجيتات» والإندماج فى المجتمع المسيحى ، فقدألعبت النزعة القومية الحادة التى عمت أوربا فى ذلك الوقت أحلامهم العنصرية وغذت آمالهم القومية فتطلعوا إلى وطن قومى يجمع غربتهم ويلم شتاتهم . وأثارت فكرة الوطن القومى كثيراً من الجدل بين اليهود وظهرت تفسيرات عديدة لأرض الميعاد انتهت جميعاً إلى أن فلسطين هى وطنهم القومى والروحى معاً . وكتب «ازهام

جيجر ، و « عموئيل هولديم » يدعوان إلى العدول عن فكرة المسيح المنتظر من بيت داود الذى يقوم بخلاص بنى إسرائيل والعودة بهم إلى أورشليم وطالبا بحذف ما يشير إلى هذه العقيدة فى التراتيل والصلوات ومعنى ذلك تخليص الحركة القومية من الإيحاء الدينى الذى يربطها بظهور المسيح المنتظر .

وأنها حركة سياسية يجب أن يسعى إليها اليهود بأنفسهم دون انتظار لمعجزات السماء . ثم ظهر كتاب « روما وأورشليم » لموسى هس ، يقول فيه أن أورشليم هى مركز دينى وقومى معا وحمل على الحاخامات الذين يرون أن أورشليم مركز دينى فحسب ويضحون بالقومية على مذبح الحقيقة الدينية الخالصة .

ويبرز هذا التناقض بين الاتجاه إلى إنكار فكرة المسيح المنتظر الذى يخلص اليهود ويقودهم إلى أورشليم ، والإتجاه إلى اعتبار أورشليم مركزاً دينياً وقومياً المنحى الجديد للقومية اليهودية ، وهى اعتبار فلسطين وطنهم الذى يتحقق فيه كيانهم القومى .

وفى هذا الاتجاه العاصف الذى قاده هؤلاء المتعصبون وأحزابهم ظهر اتجاه آخر تأثر إلى حد بعيد بحركة التنوير التى

قادها مندلسون فى ألمانيا ويئس بعض زعماء اليهود من امتلاك فلسطين يدعو إلى اتخاذ مكان آخر غير فلسطين وطنا قومياً لليهود . وكان تيودور هرزل نفسه من أنصار هذا الاتجاه فلم يكن ينظر إلى الوطن القومى تلك النظرة الدينية الضيقة بل كان يراه حلا لمشكلة اجتماعية ذات جذور عنصرية عميقة — ولعل ذلك هو السبب فى اتهام حايم وايزمان له بالسذاجة حين كتب عرض له فى مذكراته التى أصدرها بعنوان « المحاولة والخطأ » فقد كان هرزل يرى أن اليهودى لا يستطيع وفاقا مع غيره ، وأنه مهما ارتحل فإنه يحمل فى أعماقه النزعة التى تؤلب الغير عليه ، وإن كان من المحتمل إذا ترك فى سلام مدى جيلين أن يندمج فى البيئة التى يعيش فيها . ولكن نزعته المثيرة تجلب عليه العداوة والبغضاء ، ومن ثم فلن يتاح له أن يتمتع بالهدوء الذى يرتجيه لتلك الفترة الطويلة التى يستطيع فيها أن يندمج فى البيئة التى يعيش فيها .

فالمشكلة اليهودية كما يراها ليست مشكلة دينية وإن اتسمت بالتعصب والإضطهاد ، وليست مشكلة اجتماعية وإن اتسمت بالعزلة والجفوة التى يحسها اليهود ، ولكنها مشكلة عنصرية فلو كانت لهم دولة يلوذون بها لجنبتهم العيش فى بيئات تجفوهم

ولا يستطيعون هم الاندماج فيها. وناقش هرزل كل ذلك فى كتابه « الدولة اليهودية » وطالب ملحا دول العالم المتحضر بحل المشكلة اليهودية وذلك بمنح اليهود رقعة من الأرض المعمورة تكون لهم السيادة عليها ويكفى إنتاجها حاجتهم . ولم يعين هذه الأرض وترك أمر اختيارها لإجماع اليهود وإن كان نفسه يميل إلى أن يكون هذا الوطن فى الأرجنتين .

الحركة الصهيونية :

صحبت اليقظة القومية لليهود حركة عملية ترمى إلى الاستحواذ على فلسطين إلا أنها كانت بقدر ماكان يدفعها من الحماس والإخلاص كان ينقصها التنظيم الجماعى ولم تعتمد على إثارة النزعة القومية لدى اليهود بقدر ما أعتمدت على الأسلوب اليهودى التقليدى وهو المال واتخاذه أداة للتغلب على كل صعوبة ، وكان صاحب هذه الحركة هو الثرى اليهودى « موسى مونتفيورى » ، نشأ إيطاليا وأثرى عن طريق التجارة والمضاربات المالية وتجنس بالجنسية الانجليزية وارتبط عن طريق المصاهرة ببيت « روتشيلد » المالى الانجليزى اليهودى الشهير . وبعد أن جمع ثروة عريضة هجر التجارة ووطن نفسه لخدمة أبناء ملته ، فزار فلسطين لأول مرة

عام ١٨٣٧ واتصل بمحمد على وحاول أن يتفق معه على إنشاء مستعمرات زراعية لليهود فى فلسطين ولكنه فشل كما فشل بعد ذلك مع السلطان عبدالحميد بعد زوال الحكم المصرى من الشام ، ولم يفز منه إلا بمنح اليهود الإمتيازات التى للأجانب فى الدولة العثمانية .

ومات موسى مونتفيورى عام ١٨٨٥ وقد قارب المائة من عمره بعد أن وضع لقومه الخطة العملية للتسلل إلى فلسطين فقد كان إنشاء المستعمرات الزراعية اليهودية هو حجر الأساس فى الخطة التى بنت عليها الصهيونية استعمارها لفلسطين .

ولم يمض على وفاة مونتفيورى بضع سنوات حتى عقد اليهود أول مؤتمر عام لهم فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وكان ذلك فى العام التالى لظهور كتاب هرزل « الدولة اليهودية » وفى هذا المؤتمر وضعت الخطوط العريضة للاستيلاء على فلسطين فكان ذلك بداية الحركة الصهيونية .

وتتناول هذه الخطوط العريضة السياسة الصهيونية لتحقيق فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين ووسائلها التى تتلخص فيما يلى .

١ — الاستيلاء على الأرض والسيطرة على الصناعة بإيفاد عمال للزراعة والصناعة إليها .

٢ ــ تنظيم العلاقات وتوثيق الروابط بين العناصر اليهودية المشتتة بتكوين هيئات محلية ودولية تعمل لهذا الغرض وفقاً للقوانين المرعية فى الدول المختلفة .

٣ ــ إيقاظ الوعى القومى لليهود .

٤ ــ العمل على تحقيق أغراض الصهيونية وتأييدها لدى الحكومات المختلفة واختيار أنسب الأوقات لذلك .

واتجه هرزل كما اتجه مونتفيورى من قبله إلى الباب العالى لينال موافقته على اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود . ورأى السلطان عبد الحميد فى إلحاح هرزل وسيلة لتسخير اليهودية العالمية لتأييده ضد أعدائه فى أوربا . وكاد هرزل ينجح فى مسعاه لولا رفض اليهود الإنجليز للثمن الذى طلبه السلطان . فقد كانت البيوت اليهودية المالية الكبرى ترتبط بالإستعمار البريطانى بأوثق رباط ، وهى ترى أطماع بريطانيا فى الدولة العثمانية وأهمية قناة السويس لبريطانيا وتدرك ما يدره الاستعمار البريطانى عليها فى تنمية استثماراتها ومواردها المالية ولا تستطيع أن تضحى بمصالحها هذه بالتحالف مع تركيا ضد أعدائها فى أوربا ومن بينهم فى بريطانيا التى تتأزم الأمور بينها وبين تركيا يوما بعد الآخر حول المسألة

المصرية ، وما زال اليهود الإنجليز يذكرون دزرائيلى اليهودى المنبت والذى عمد فى ولادته مسيحياً ولكنه لم ينس أبداً أصله اليهودى وكيف تعاون مع رد تشيلد اليهودى أيضاً فى اصطياد صفقة أسهم قناة السويس لبريطانيا .

فالتحالف بين الاستعمار البريطانى والرأسمالية اليهودية قديم وله جذوره العميقة فى تاريخ الامبراطورية البريطانية ولا تستطيع الرأسمالية اليهودية أن تحالف تركيا والسلطان العثمانى ضد المصالح البريطانية ومن الناحية الأخرى لا تحب أن تطغى مصالحها على وفائها لأبناء ملتها فرأت من باب المحاسنة والتأييد المعنوى أن تعرض عليهم أرضا فى أفريقيا الإنجليزية مساحتها ستة آلاف ميل مربع لتكون مركزاً لليهود المشردين والمضطهدين ، وكانت تدرك أن الرفض مصير هذا الإقتراح . وفعلا رفض العرض أمام المؤتمر الصهيونى عام ١٩٠٥

إلا أن بريطانيا لم تنس أبناء صهيون .

# الطمع والخيانة

وقامت الحرب العالمية الأولى واليهود حيارى أية ناحية يتجهون حتى إذا دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا اتجهوا إلى تقوية صلاتهم بالحلفاء علهم ينالون منهم إذا ما انتهت الحرب بانتصارهم ما عز عليهم نواله من الدولة العثمانية ، ولكن «اسكويث» رئيس الوزارة الإنجليزية لم يكن ميالا إلى تأييد الفكرة الصهيونية فأهمل مطالبهم وأعرض عنها فقد كان يؤمن فى قرارة نفسه أن قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين وهم من الأوهام وكتب أثر زيارة قام بها لفلسطين بعد ذلك بعشر سنوات يقول ( مازلت أعتقد كما اعتقدت من قبل أن الحديث فى إتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ضرب من الأوهام ) ولكن لويد جورج الذى تولى الوزارة بعده كان على خلافه فى الاستجابة لآمال الصهيونيين يدفعه إلى ذلك عاملان آمن بهما فضلا عن النفوذ اليهودى البارز الذى كان يحيط بوزارته ، عامل سياسى وآخر إستراتيجى

فأما العامل السياسى فهدفه استمالة اليهود فى ألمانيا والنمسا لتأييد الحلفاء. والعـــامل الاستراتيجى وهو الأهم فى نظر لويد جورج فإنه يهدف إلى الانفراد بالسيطرة على فلسطين وإتخاذ الصهيونية وسيلة لذلك وكان عليه أن يتأكد أولا من تأييد الصهيونيين لقبول الحماية البريطانية على فلسطين.

وثمـــة عامل آخر لاتذكره الوثائق ولكن تفسره فلسفة التاريخ والتحليل النفسى للأحداث والظواهر الإنسانيـة، وقد يبدو هذا العامل أقوى من كل ماتسجله الوثائق من قوى الدفع التاريخى.

وظهر هذا العامل فى رفض اليهود الإنجليز لشروط السلطان عبد الحميد، كما ظهر فى اتجاه الحكومة الإنجليزية لتعويض اليهود بأوغندا عن فلسطين.

هذا العامل هو التحالف المعنـــوى والنفسى بين الحكومة الإنجليزية واليهود، هذا التحالف الذى طبع السياسة البريطانية والاستعمار بسمات الخلق اليهودى فهى سياسة قادرة عنيفة غادرة إذا ملكت وهى سياسة لينـة مستخذية مستسلمـة إذا رأت أن مصالحها الاقتصادية تتعرض للخطر، والسياسة البريطانية بكل

سماتها قامت على المصالح الاقتصادية ورعاية الاستثمارات المالية الضخمة . والاستعمار البريطانى استعمار اقتصادى يبحث عن الخامات وينشد تنمية رأس المال ويحتكر الأسواق التجارية إذا رأى مايهددها من منافسة تجارية ويتركها حرة إذا انفرد بالميدان ، والحرية لديه هى حرية الأخذ الكثير والعطاء القليل وتقاس حرية الشعوب لديه بهذه القاعدة ، فإذا كانت حرية المستعمرات واستقلالها تربطها بالإطار الاقتصادى للإمبراطورية فهى حرية محببة واستقلال طيب، لذلك عرفت السياسة البريطانية بالمرونة وعرف الاستعمار البريطانى بالتنوع والاختلاف، فهناك مستعمرات التاج وهناك المستعمرات التى تتمتع بالحكم الذاتى وهناك المستعمرات التى تتبع وزارة المستعمرات مباشرة كل حسب طبيعة المستعمرة ومدى استجابتها للسياسة البريطانية .

فإذا كانت الرغبة فى السيطرة على فلسطين ، ثم استمالة يهود ألمانيا والنمسا هما اللذان حملا الإنجليز على الاستجابة لمطامع الصهيونية فى إصدار وعد بلفور ؛ فإن ولاء الحكومة الإنجليزية ورجالها لليهودية العالمية هو فى نظرى أهم من هذين العاملين اللذين تؤيدهما الوثائق الإنجليزية والصهيونية على السواء ، وقد

لا نعنى كثيراً بالعامل الأول وهو استمالة يهود النمسا وألمانيا إلى جانب الحلفاء فإن يهود هاتين الدولتين لم يكونوا راضين تمام الرضاء عن حياتهم ؛ بينما كان يهود انجلترا يتمتعون بأكثر مما يتمتع به المواطن البريطانى فى المجتمع الإنجليزى ، أما العامل الثانى وهو اتخاذ اليهود وسيلة للسيطرة على فلسطين لضمان حماية قناة السويس ، فإن نتائج ما بعد الحرب وما ظهر من نفوذ بريطانيا فى توجيه أحداثها يؤكد أنها لم تكن فى حاجة إلى عون اليهود أو مساعدتهم ، وأثبتت سياسة تنفيذ الوطن القومى لليهود فى فلسطين تحت الانتداب البريطانى أنها كانت غرماً لبريطانيا ولم يحدث أنهم قاموا أو اضطلعوا بأى نوع من أنواع الحماية لقناة السويس .

ولم تعن بريطانيا كثيراً بالاعتماد على فلسطين لتكون خطاً أماميا أو قاعدة ثابتة للدفاع عن قناة السويس بدليل أنها أقامت أمارة شرق الأردن لتكون قاعدتها الأولى فى هذا النطاق الاستراتيجى الهام للأمبراطورية البريطانية .

إذن كان تأييد بريطانيا للوطن القومى اليهودى فى فلسطين تأييدا لفئة تدين لها الحكومة الانجليزية بالولاء ، هذا الولاء

الذى ربطها بأمثال روتشيلد وزرائيلى وهربرت صموئيل أول مندوب سام لبريطانيا فى فلسطين وشرق الأردن على عهد الانتداب .

الخلق البريطانى :

استطاعت بريطانيا أن تعقد اتفاقا مع الشريف حسين تضمنته مراسلات « الحسين — مكماهون » لقيادة ثورة عربية ضد الترك مقابل أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية ووحدة العرب وتعمل على تحريرها .

وفى نفس الوقت كانت بريطانيا تبرم الاتفاقيات السرية مع حلفائها لاقتسام البلاد العربية وأبرز تلك الاتفاقيات هو اتفاق « سيكس — بيكو » .

ونص هذا الاتفاق على اعتبار فلسطين — فيما عدا ميناءى حيفا وعكا — منطقة دولية بسبب الخلافات التى قامت بين أطراف الاتفاق حولها .

فإن بريطانيا وقد أخذت تدرك قيمة المواصلات البرية وتقدمها السريع فى تطور استراتيجية الحرب . لم تعد ترى أن

سيادة البحار والقواعد البحرية كافية للدفاع عن الامبراطورية ومواصلاتها الحيوية وأهمها جميعاً قناة السويس ، ذلك الشريان المائى الضيق الذى يمر فى أرض مصر ويربطها بمستعمراتها العديدة فى الشرق ، وأصبحت ترى إقامة قواعد برية أمامية تكفل العمق الاستراتيجى للدفاع عن مواصلاتها البحرية ، ودلت تقارير كتشنر وغيره من الخبراء والمهندسين العسكريين قبيل الحرب على أن فلسطين هى القاعدة الأمامية التى تحقق العمق لاستراتيجى للدفاع عن قناة السويس .

وكانت فرنسا ترى أن فلسطين جزء من سورية التى تتطلع اليها ولذلك فهى تدخل فى نصيبها فى التقسيم ، واحتجت بريطانيا التى كانت تعمل على إبعاد فرنسا أو غيرها من الدول الكبرى عن هذا المركز الحساس ، بأن فلسطين تضم الأماكن المقدسة مما يستلزم إقامة نوع خاص من الإدارة ، ورد الفرنسيون باقتراح إقامة إدارة دولية فى القدس وبيت لحم لصفتهما الدينية ، على أن تبقى فلسطين جزءا لا يتجزأ من سورية ، وعندما استؤنفت المحادثات مع روسيا اعترضت على اقتراح فرنسا بأن المدارس والأديرة التى تشرف عليها فى فلسطين وخاصة تلك التى تقع فى الناصرة ونابلس والخليل يمتد بعيداً إلى ما وراء المنطقة

الصغيرة التى اقترحتها فرنسا للإدارة الدولية ، وطالبت بفرض حمايتها على فلسطين ، وأخيرا اتفق الحلفاء الثلاثة على إقامة إدارة دولية تضم البقـــاع المقدسة والمؤسسات الدينية ومدارس الإرساليات ، ومعنى ذلك أن تكون كل فلسطين خاضعة للإدارة الدولية .

ووقع ما كانت تخشاه بريطانيا من وجود دولتين قويتين لا تأمن منافستهما على مقربة من قناة السويس ، فاتجهت وجهة أخرى حتى تنفرد وحدها لفلسطين .

وكانت الحكومة البريطانية ويؤيدها اليهود الانجليز ما زالت ترى حتى ذلك الوقت إقامة وطن قومى لليهود فى بعض مستعمراتها الإفريقية ، ولاشك أن إقامة وطن قومى لليهـــود فى بعض المستعمرات الانجليزية فى أفريقيا يدعم عاطفة الولاء البريطانى لليهود ويربط اليهود بالأمبراطورية البريطانية برباط وثيق ، وهذا أكثر خيراً لبريطانيا مما لو كان الوطن القومى فى فلسطين الخاضعة للدولة العثمانية والبعيدة عن النفوذ البريطانى حينذاك وقد يحمل فريقاً كبيراً من اليهود على التحالف مع الدولة العثمانية ، مما يتعارض تماما مع مصـــالح اليهود الإنجليز فى

الامبراطورية البريطانية ويشتت ولاءهم بين أبناء ملتهم فى فلسطين ومصالحهم فى الامبراطورية .

ولكن ما دامت بريطانيا تطمع فى فلسطين وتأمل فى السيطرة عليها ، فإن الوضع يأخذ شكلا آخر ولا بأس من أن تعترف بريطانيا أمام هذا الوضع الجديد بالوطن القومى لليهود فى فلسطين .

التحالف الجديد :

وتظهر على المسرح شخصية الزعيم الصهيونى الجديد « حاييم وايزمان » وهو يهودى روسى انتخب ممثلا ليهود روسيا فى المؤتمر الصهيونى الأول وحالت بعض العقبات بينه وبين حضوره ولكنه حضر المؤتمر الثانى والمؤتمرات التالية وعرف « تيودورهرزل » وأيده فى أقامة الدولة اليهودية وتنظيم الحركة الصهيونية وعارضه فى أسلوبه وفى رضائه بغير فلسطين وطناً قومياً لليهود .

ودرس وايزمان الكيمياء واختار انجلترا مهجرا فقد كان يراها « البلد الذى يبدى عطفاً صحيحاً على حركتنا ، يشهد به

تاريخ العلاقات الانجليزية الصهيونية » ، ويتمول وايزمان عن الحركة الصهيونية فى انجلترا فى بداية هجرته إليها أنها « كانت هرزلية تماماً، وكان يعد خائناً كل من يفكر فى معارضة مشروع الوطن القومى لليهود فى أوغندا ، حتى أن الصهيونية الانجليزية غدت وكأنها وطنية بريطانية، وغدا مشروع أوغندا من مستلزمات الوطنية البريطانية » .

ولكن قيام الحرب قلب الأوضاع رأساً على عقب وأخذ مشروع أوغندا يخبو ليحل محل مشروع فلسطين ، ويؤيد هذا التحول ما قالناه من أن هم بريطانيا هو الاحتفاظ بالولاء البريطانى لليهودية العالمية، فالخارجون على مشروع أوغندا خونه كما يتمول وايزمان لأنهم يفصمون الصلة بين اليهودية العالمية والحكومة الانجليزية كما يؤكد تنصيناً للحوادث . يؤيده أيضاً أن رجال الحكومة البريطانية وأصحاب النفوذ قد بدأوا ينفرون من وايزمان بعد النفور منه ، حين أخذت بريطانيا تضع فى حسابها السيطرة على فلسطين فاتصل به سكوت رئيس تحرير المانشستر جارديان بعد قيام الحرب بشهرين ، وأخذ يكتب عن المسألة اليهودية وقدمه إلى لويد جورج ولعل اللقاء كان مرتباً من قبل ، وفى اجتماعهم

معه تناول الحديث فلسطين ووعده لويد جورج بأن يخاطب بلفور واسكويت فى ذلك .

وفى هذا الاجتماع تبين وايزمان أن هربرت صموئيل الوزير اليهودى فى الوزار البريطانية لم يعد هرزليا أو بمعنى آخر لم يعد متعلقاً بمشروع أوغندا بل أصبح من دعاة الوطن القومى لليهود فى فلسطين، فقد أخبره أنه يعد مذكرة إلى رئيس الوزراء إسكويت عن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين .

ويذكر اسكويت فى مذكراته فى ٢٨ يناير سنة ١٩١٥ أنه تلقى مذكرة من هربرت صموئيل يقترح فيها ضم فلسطين إلى بريطانيا ويذكر أنه من الممكن تهجير ثلاثة أو أربعة ملايين اليها. يرى وايزمان أنهم يشكلون حراسة قوية لقناة السويس ! ! ويعلق اسكويت على ذلك بقوله « أن الشخص الوحيد الذى كان يؤيد تلك الفكرة هو لويد جورج وليس من الضرورى أن أقول أنه لا يهتم مثقال ذرة باليهود أو ماضيهم أو مستقبلهم ، ولكن يهوله أن يرى الأماكن المقدسة فى فلسطين تحت سيطرة فرنسا الملحدة أو حمايتها » .

وقد سبق القول أن اسكويت لم يكن من أنصار الوطن

القومى لليهود فى فلسطين وظل حتى بعد قيامه يعتبره وهما كبيراً .

وفى حديث لوايزمان مع بلفور وكان حينذاك وزيراً للبحرية فى وزارة أسكويث وأصبح وزيراً للخارجية فى وزارة لويد جورج التى خلفت وزارة أسكويث وعرفت بوزارة الحرب . وكان من أنصار مشروع أوغنده أيضاً ، قال بلفور « أننى أعتقد أنه حالما تسكت المدافع فانكم ستنالون قدسكم » .

ويقول وايزمان أنه سر بهذا القول كثيراً .

وقد بدت هذه الأبحاث فى أفق السياسة البريطانية قبل أن يعقد اتفاق سيكس ـ بيكو وقبل أن تطلب وزارة الحربية البريطانية إلى وايزمان أن يعد لها مادة « الأسبيتون » اللازمة للمجهود الحربى ، مما ينتنى معه القول أيضاً بأن وعد بلفور كان مكافأة لوايزمان على مساهمته فى مجهود الحرب البريطانى .

ويؤكد وايزمان ماذهب اليه من أن وعد بلفور بذل بدافع من ولاء الحكومة الانجليزية لليهودية العالمية فيقول فى مذكراته « إن الوزارة البريطانية أكانت تعطف على الأمانى الصهيونية وترغب فى تحقيقها » . وأنكر فى الوقت نفسه أن الوعد كان ثمناً لمساعدة اليهود للانجليز أو إنه يدخل فى نطاق الصالح الاستعمارية البريطانية

أما القول بأن قيام الوطن القومى لليهود فى فلسطين تحت

حماية بريطانية يوفر الأمن الاستراتيجى لقناة السويس .

فقد جاء على لسان وايزمان قبل أن يقوله رجال الحكومة البريطانية ، والمعروف أن مثل هذا القول يجرى بقصد الاستهواء السياسى، وكان أول ماذكر على لسان وايزمان فى حديثه لسكوت رئيس تحرير المانشستر جارديان فى أول مقابلة لهما فى نوفمبر سنة ١٩١٤ . ورددده وايزمان لهربرت صموئيل وأسكويث .

وينافض وايزمان نفسه فى ذلك ، فبينما يصرح بأن قيام الوطن القومى لليهود فى فلسطين يوفر الأمن الاستراتيجى لقناة السويس ويؤكد بهذا أهمية فلسطين لحماية قناة السويس ويضع القوى البشرية اليهودية فى خدمة هذا الغرض . نراه يقول فى موضع آخر من مذكراته أن « علاقة انجلترا بفلسطين ترتكز على فكرة الوطن القومى اليهودى فيها . ولولا وجود هذه الفكرة لديها لما قبلت بريطانيا الحماية على فلسطين ، فإن انجلترا كانت ترى أنه ليس لها مصلحة ما فى فلسطين إلا ماتنشده من إنشاء الوطن القومى اليهودى فيها » .

ولعل هذا الولاء البريطانى لليهودية العالمية هو الذى أدى إلى استمالة أسكويث المعارض وتكليف لويد جورج المعارض بتأليف الوزارة الجديدة ولعله أيضاً هو الذى حمل بلفور من وزارة البحرية إلى وزارة الخارجية .

فالتحالف التقليدى بين الحكومة الانجليزية واليهودية العالمية

هو دون غيره العامل الأساسى فى إصدار وعد بلفور . أما اتخاذ اليهودية العالمية وسيلة لرفض الإدارة الدولية التى نص عليها اتفاق سيكس بيكو لفلسطين فلم يكن شرطاً أساسيا اشترطته الحكومة الانجليزية على اليهود ثمناً لإصدار وعد بلفور حتى تنفرد وحدها بفلسطين ، وإنما كان مظهراً للتحالف الذى يربط بينهما — فبريطانيا قد قبلت مشاركة حليفتيها لها فى إدارة فلسطين على كره منها وتود لو أتيحت لها فرصة التخلص منها لتنفرد هى وحدها بفلسطين ومادامت لا تستطيع القيام بهذا الدور سافرة فلا بأس من أن تدفع اليهود للقيام به وتكون خطة ذلك أن تنال بريطانيا تأييد كل من فرنسا وأمريكا — وكانت روسيا قد خرجت من الحرب — لفكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، مما يجعل لليهود حقاً ما داموا قد نالوا هذا الاعتراف بحقهم فى فلسطين ، فى اختيار نوع الإدارة المقبلة لفلسطين والدولة التى تكون فى حمايتها ، وتم الاتفاق بين الحكومة الانجليزية وممثلى اليهود على أن يرفض اليهود الإدارة الدولية ويطالبوا بحماية بريطانيا وبدأ تنفيذ الخطة المرسومة وقبلت فرنسا بعد تردد أن تصدر تصريحاً فى صالح الصهيونية دون أن تتعرض لشكل الإدارة المقبلة لفلسطين ووافق الرئيس ويلسون على فكرة الوطن القومى اليهودى ولم يعد غير الاتفاق . على صيغة الوعد المنشود .

# الإستعمار والغدر

لم يكن الاعتراف بالوطن القومي اليهودي نهاية المطاف بالنسبة لليهود بل كان بداية الطريق المرسوم لإقامة دولة يهودية في فلسطين وقد كان من العبث أن يتمتع أي إنسان بأن آمال اليهود تقف عند هـذا الحد ، فهم يدركون غايتهم ويحددونها تحديداً واقعياً ويسيرون نحوها خطوة فخطوة لا يتعدهم عن بلوغها عتبة وإن جانبت الخلق القويم ، فلم يكن للإخلاق متياس لديهم أو وجود والأخلاق تجبها الغاية في شريعتهم وتلمودهم .

وكانوا يعرفون تماماً العقبات التي تعترض سبيلهم سواء كانت هذه العقبات طارئة أو أصيلة .

وقد واجهتهم قبل إصدار وعد بلفور عتبة طارئة كادت تؤدي بأحلامهم ولـكن التحالف الأصيل بين الحـكومة البريطانية واليهودية العالمية قضى عليها وحال دون قيامها .

لجنة مورجانتو :

فقد عمل مورجانتو وكان من قبل سفيراً للولايات المتحدة

الأمريكية فى الآستانة على عقد صلح منفرد مع تركيا ، وفاتح الرئيس ويلسون بفكرته هذه فاستحسنها وفوضه بالسفر على رأس لجنة خاصة إلى سويسرا للاتصال بالاتراك والدخول فى مفاوضات للصلح ، واتصل ويلسون بدول الحلفاء وأبلغهم بالمشروع وطلب تفويض ممثلين لهم للاشتراك فى اللجنة

واحيطت مهمة اللجنة بالسرية التامة ولكن القاضى « براندیس » أحد مستشارى الرئيس ويلسون وكان صهيونياً متعصباً أخطر وايزمان بقيام « لجنة أمريكية إلى الشرق » وطلب إليه الاتصال بها. واتصل وايزمان برجال وزارة الخارجية الانجليزية الذين زودوه بكل شىء عنها. وعن مهمتها .

وأدرك وايزمان كما أدرك براندیس من قبل أن نجاح اللجنة وخروج تركيا من الحرب كفيل بالقضاء على آمال الصهيونية فى الوطن القومى اليهودى ، وقد أوشكت أن تبلغ غايتها .

وقابلت الحكومة البريطانية مهمة مورجانتو بالفتور وصرح رجالها لوايزمان بأن حكومتهم لن ترضى بعقد صلح مع تركيا لاترضى فيه باقتطاع أرمينية وسوريا والجزيرة العربية من الدولة العثمانية . ولكن الحكومة البريطانية حريصة فى الوقت ذاته

على رضاء أمريكا فعملت على إحباط مهمة اللجنة دون أن تثير الرئيس ويلسون ، وكانت قد علمت أن فرنسا تبارك عمل اللجنة وتتحمس له وتسلم بتوقيع صلح منفرد مع تركيا على أساس الإبقاء على وحدة الدولة العثمانية .

ورأى بلفور أن يفوض وايزمان مندوبا عن الحكومة البريطانية فى اللجنة وطلب إليه السفر إلى جبل طارق للاتصال بمورجانتو ، وأن تكون مهمته الحقيقية إقناع مورجانتو بالعدول عن فكرته ، وكان مورجانتو يهودياً ولكنه كما يقول وايزمان لا يتحمس كثيراً للصهيونية ولما لم يكن يعرف الخطوات التى حققها وايزمان للاعتراف بالوطن القومى اليهودى

واستطاع وايزمان أن يقنع مورجانتو بخطل رأيه فقرر عدم المضى فى مهمته رغم قدوم الوفد الفرنسى بدوره إلى جبل طارق وظل راجعاً إلى بلاده .

ويمكننا أن نصور النتائج التى يمكن أن يتمخض عنها عقد صلح منفرد مع تركيا على أساس الإبقاء على وحدة الدول العثمانية على ضوء النتائج التى انتهت إليها الحرب بالنسبة لتركيا ، وأولها الإقلاع عن إصدار وعد بلفور وفشل وايزمان فى جهوده التى بذلها فى هذ السبيل .

## الوعد الأهوج :

تكاتفت عوامل شتى على إصدار وعد بلفور بالصورة التى جاء بها . فقد كان بعض اليهود المعتدلين يخشون أن يفقدهم الاعتراف بالوطن القومى اليهودى امتيازاتهم وحقوقهم التى أكدوها فى البلاد التى يقيمون فيها وخافوا من اتهامهم بضعف الوطنية والولاء المزدوج .

بينماراح غلات الصهيونيين يطالبون بإقامة دولة يهوديةفى فلسطين ، وقام يهود أمريكا بوضع مشروع إقامةجمهورية يهودية فيها . كان وايزمان نفسه يرى أن يكون الاعتراف بفلسطين وطناً قومياً لليهود . ومنح اليهود استقلالا ذاتيا تحت الحماية البريطانية وكان يردد دائماً ذكر حماية بريطانيالمدة عشرسنوات أو خمس عشرة سنةدون أن يجعل ذلك شرطاً أساسياً لاتفاقه مع الإنجليز

ولم يسترح وايزمان رغم تطرفه إلى النغمة الجديدة التى يرددها بعض غلات اليهود عن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين . فقد كان يدرك أن الوقت . يحن بعد لترديد ذلك ، وإن تحقيق الاعتراف بالوطن القومى اليهودى هو الخطوة الأولى ولا يصح لإعلان عن الخطوة التالية قبل أن تتحقق الخطوة التى تسبقها

وأشار وايزمان إلى ذلك فى خطاب ألقاه فى مايو سنة ١٩١٧ بعد انتخابه رئيساً للجمعية الصهيونية بقوله ويقول البعض أن الحركة

الصهيونية ترمى إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وأن أخواننا فى أمريكا قد وضعوا مشروعاً لقيام جمهورية يهودية فى فلسطين ، ونحن وإن كنا نرحب بذلك إلا أننا يجب أن نقول أن الوقت لم يحن بعد لإعلان ذلك ، وإن الحديث عنها فى الوقت الحاضر ليس من الكياسة الديبلوماسية فى شىء » .

أما خشية بعض اليهود الإنجليز من تطرف الحركة الصهيونية وخوفهم من أن يفقدهم الاعتراف بالوطن القومى اليهودى حقوقهم وامتيازاتهم التى تؤول إليهم من انتمائهم إلى جنسية معينة فقد تكفل بالقضاء عليها « ويكهام ستيد » رئيس تحرير التيمس فى عدة مقالات طعن فيها اليهود على حقوقهم وامتيازاتهم ، وكان لها صدى طيب فى أوساطهم قال فى بعضها « إن التفكير فى أن نجاح الحركة الصهيونية يحمل المسيحيين والعالم المسيحى على القيام ضد اليهود ليس إلا من قبيل الخيال أو الرجم بالغيب الناجم عن التوتر العصبى فان نقول لليهود ، ها قد أصبحت لكم أرضا خاصة بكم فارحلوا عنا » .

وأخذ وايزمان يطالب الحكومة البريطانية بإصدار اعترافها بالوطن القومى اليهودى ويذكرها بجهوده فى أحباط مشروع

مورجانتو وتقوم بصيغة هـــذا التصريح وبعد دراسة شاملة أدخلت عليه عدة تعديلات حتى انتهى إلى الصورة التى صدر بها وجرى التعديل فى النص على إنشاء الوطن القومى . وقد كان وايزمان يريد أن يكون النص على « جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود » ولكنه جاء « بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين » ثم اعترض وايزمان على كلمة « إنشاء » وطالب أن تكون « إعادة إنشاء » حتى تتضمن اعترافاً بحق اليهود التاريخى فى فلسطين كما اعترض على كلمة « اليهود » وطالب بأن تكون « الشعب اليهودى » واستجابت الحكومة البريطانية للاعتراض الثانى فأبدلت اليهود بالشعب اليهودى ولكنها رفضت الاعتراض الأول ولم ترض عن عبارة « إعادة إنشاء » وأبقت على « إنشاء » . وتضمن التصريح أيضاً نصا جديداً ولم يدخل فى صياغة وايزمان وهو الخاص بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين . وكان وايزمان قد ضمن النص الذى تقدم به عدم المساس بالحقوق والمزايا التى يتمتع بها اليهود فى البلاد الأخرى . وما أن تم الاتفاق على صيغة التصريح حتى صدر بالنص الذى عرف به فى الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ .

# الاستعمار والخيانة

صدر وعد بلفور والحرب فى عنفوانها وبلغت موجة المد الألمانى أقصى مداها وآذنت بالانحسار ولكن المعركة مازالت تتأرجح بين النصر والهزيمة .

وقد أخفى الإنجليز عن حليفهم العربى الملك حسين بن على خبره كما أخفوا عنه أيضاً اتفاق سيكس ـ بيكو ولم يكن العرب حتى ذلك الوقت والى ما قبل علمهم بوعد بلفور يحملون أية موجدة أو عداء لليهود ولم يمر باليهود مجتمعاً طابت لهم الإقامة فيه غير المجتمع العربى ) .

ولكن وعد بلفور كان وعداً أهوج وسم بريطانيا بالخيانة والغدر ووسم اليهود بانعدام الوفاء ، وأثار جواً من الحيرة والقلق بين العرب وفزع الحسين حين أتاه نبأه وكان على بريطانيا أن تسكن فزعه وأن تزيل من نفوس العرب ما ألم بها من شك فى حقيقة نواياها فبعثت بالكوماندور هوجارث أحد رجال المكتب العربى فى القاهرة ومن ذوى الثقافة العربية الواسعة إلى الملك حسين واستطاع أن يقنعه بأن وعد بلفور لا يرمى إلى غير سكان المضطهدين من اليهود فى فلسطين دون التعرض لحقوق العرب السياسية والدينية والاقتصادية ، كما استطاعت أن تزيل

من نفوس العرب كل أثر للشك فى صدق نواياها ووعودها لهم وأكد وايزمان نوايا اليهود الطيبة لمن اجتمع بهم من العرب أثناء مروره بالقاهرة فى طريقه إلى فلسطين فى شهر مارس سنة ١٩١٨.

ولكن ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى أسفرت بريطانيا عن غدرها ومكرها وخيانتها وتنكرت لعهودها ووعودها وجلست مع حلفائها على مائدة الصلح تقتسم الأسلاب والغنائم وصدرت قرارات عن مجلس الحلفاء الأعلى فى سان ريمو بالانتداب على البلاد العربية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢٠، وتضمنت وثيقة الانتداب على فلسطين التى وافقت عليها عصبة الأمم، وعد بلفور فى مقدمتها فأصبح للوطن القومى لليهود فى فلسطين كيان دولى وقانونى.

ولم تقتصر وثيقة الانتداب على أدماج وعد بلفور فى مقدمتها بل تناولت بنودها كل ما يتعلق بانشاء الوطن القومى فقد تضمنت المادة الثانية مدى مسئولية بريطانيا عن الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية التى تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى كما نصت المادة الرابعة على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة يهودية عمومية ومنحتها كثيراً من الحقوق والمزايا الاجتماعية والاقتصادية والإدارية ما جعل منها قوة لها شأنها فى مستقبل البلاد. وتناولت المادة السادسة شئون الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتنظيمها وتيسيرها بإشراف الوكالة اليهودية

ومساعدتها وبدى. فى تنفيذ ذلك رسمياً فى سبتمبر سنة ١٩٢٢ .
وإن كان تنفيذها الفعلى قد بدأ قبل ذلك منذ يولية سنة ١٩٢٠
فأخذت وفود اليهود تترى على فلسطين وتتزايد عاماً بعد عام
منذ ذلك الوقت حتى بلغ عدد الوافدين إليها حينئذ . ٥ر٥
مهاجر ارتفع عام ١٩٢٣ إلى ما يقرب من ٧ر٤٠٠ مهاجر
إزداد حتى وصل إلى ١٢ر٨٠٠ مهاجر عام ٩٢٤ ويقف على
٢٣ر٨٠٠ مهاجر فى عام ١٩٢٥ .

ولم يثر العرب على سنية من سنيات الاحتلال قدر ماثاروا على توافد هذه الأعداد الوافدة من اليهود على فلسطين فقد ظهر لهم جليا أن القصد منها هو تغليب اليهود على العرب حتى تتم لهم الغلبة عليها بحكم كثرتهم العددية وتتم لهم السيطرة على العرب بحكم نشاطهم الاقتصادى والصناعى وضخامة المساعدات المالية والاقتصادية التى تنهال عليهم من الخارج، ويهبط مستوى العرب فى هذا المجتمع الجديد إلى مستوى الاجراء والخدم بعد أن يستولى اليهود على مايملكونه بمختلف الوسائل والحيل ولا يبقى لهم بعد ذلك من كيان فى بلادهم سوى كيانهم التاريخى المسلوب .

ووكلت بريطانيا إلى الوزير الصهيونى المتعصب هربرت صموئيل تنفيذ هذه السياسة وعينته مندوبا سامياً على البلاد .

ولم يكن وعد بلفور فى نظر العرب خيانة لهم فحسب بل نكثاً لعهد سطرته الدماء فانطوت كراهيتهم لبريطانيا على موجة الاحتقار المرير

# خاتمـــــة

وبعد أربعة وأربعين عاما على صدور ذلك الوعد الأهوج تتوارد الرؤى واحدة بعد الأخرى أمام ناظرينا عاصفة مريرة تحكى مأساة عنيفة لتعصب الغرب ضد الشرق، ففي البداية تختتم تلك المأساة أول فصولها على مشاهد مؤامرة دنيئة تنتهي بإصدار وعد بلفور ليبدأ الفصل الثاني من فصول المأساة في مشاهد تتنقل سريعاً ما بين عواصم البلاد العربية ولندن وباريس وسان ريمو وجنيف ليكون ختام هـــذ الفصل وثيقة الانتداب على البلاد العربية وقد أجملت في صدرها وعد بلفور . ويبدأ الفصل الثالث عن مشاهد صراع حاد تتناثر فيه الدماء وأشلاء الضحايا في أرض السلام لينتهي على صوت أبواق حادة رهيبة تعلن قيام الحرب العالمية الثانية ويبدأ الفصل الرابع على صورة تروماني يعزف على قيثارة بجنونة بأن تكون فلسطين ملجأ اليهود الذين شردتهم النازية في أوربا

وينتهى بصورته وهو يعلن قيام دولة اسرائيل أثر انتهاء الانتداب البريطانى عليها مباشرة .

ويبدأ الفصل الخامس على صور من الخيانة والرجعية ودسائس الاستعمار التى تآمرت جميعاً على ضياع فلسطين .

وفى ختام هذا الفصل تلوح صورة مشرفة لمارد عربى يصول فى ميدان المعركة ويرسم للمستقبل بعث القومية العربية الرائع .

ويقف المارد العربى على قمة الأحـــداث فى تاريخ الشرق الاوسط والعالم العربى فيبعث فيه تلك الهزة التى تعقب اليقظة وتستثير الوجدان .

ويرسم جمال عبد الناصر خطوط المستقبل العريض للقومية العربية فى إطارها الرائع وقد مسحت من صفحتها تلك البقعة السوداء التى لوثت أرضها الطاهرة ، تلك القذارة التى يسمونها إسرائيل .

دكتور حسين فوزى النجار

المعادى ٢٧ أكتوبر ١٩٦١

# اذكر هؤلاء..

## الذين تآمروا على إصدار الوعد الأهوج

# وعد بلفور

١ - لويد جورج . رئيس وزارة الحرب البريطانية .
٢ - هربرت صموئيل. الوزير اليهودى فى وزارة الحرب البريطانية
٣ - ا . ج . بلفور . وزير الخارجية .
٤ - ونستون تشرشل . وزير الحربية .
٥ - جنرال سمطس . الوزير فى وزارة الحرب وصاحب فكرة الانتداب .
٦ - مارك سيكس . سكرتير عام الوزارة وأحد الذين نسب إليهما اتفاق سيكس - بيكو .
٧ - القاضى براندیس . مستشار الرئيس ويلسون .
٨ - ويكهام ستيد . رئيس تحرير التيمس الإنجليزية .
٩ - س.ب.سكوت . رئيس تحرير المانشستر جارديان .
١٠ - لورد روتشيلد ، وبقية أعضاء أسرة روتشيلد المالى اليهودى الكبير .
١١ - حاييم وايزمان . الزعيم الصهيونى .

# أسئلة عامة تدور حول الموضوع

١ — هل يستند وعد بلفور إلى سند قانونى ؟

٢ — ما هو الأثر الذى تركه ظهور كتاب هرزل « الدولة اليهودية » فى تطور الحركة الصهيونية ؟

٣ — يرى اليهود أن دعواهم فى فلسطين تقوم على وعد إلهى لهم بذلك . ناقش ذلك وبين لمن كان هذا الوعد الإلهى ؟

٤ — فيمن تحقق الوعد الإلهى لابراهيم عليه السلام لوراثة أرض الميعاد ؟

٥ — ارسم صورة للخلق اليهودى على ضوء ماقرأته عنهم ؟

٦ — اذكر الفرق بين اتجاه هرزل واتجاه وايزمان فى الحركة الصهيونية .

٧ — ما هى الخطة التى رسمتها الصهيونية للاستيلاء على فلسطين ومتى كانت ؟

٨ — ما هى الدوافع التى حملت بريطانيا على إصدار وعد بلفور ؟

٩ — ما هى السمات اليهودية البارزة فى السياسة البريطانية ؟

١٠ ـ عرفت السياسة البريطانية بالغدر والخداع . استشهد على ذلك بأمثلة مما قرأت .

١١ ـ أذكر ما تعرفه عن اتفاق سيكس ـ بيكو .

١٢ ـ ماهو وضع فلسطين فى اتفاق سيكس ـ بيكو وكيف تغير؟

١٣ ـ هل تعتقد أن للصهيونية دوراً فى تغيير وزارة اسكويث وتأليف وزارة لويد جورج ؟ علل لذلك .

١٤ ـ قارن بين غدر بريطانيا بالعرب ووفائهم لليهود وعلله .

١٥ ـ قل ماتعرفه عن لجنة مورجانتو.

١٦ ـ ما هو الدور الذى قام به كل من هؤلاء فى إصدار وعد بلفور :

القاضى براندیس ـ ویکهام ستید ـ هربرت صموئیل

١٧ ـ قل ماتعرفه عن قرارات مؤتمر سان ريمو ؟

١٨ ـ صور خيانة بريطانيا للعرب بعد الحرب العالمية الأولى .

١٩ ـ ما هى النصوص التى تضمنها قرار الانتداب على فلسطين بشأن إنشاء الوطن القومى اليهودى ؟

٢٠ ـ صور دور القومية العربية فى القضاء على إسرائيل ؟

٢١ ـ ما هو دور الرئيس جمال عبد الناصر فى بعث القومية العربية ؟

# المصطلحات

التى وردت فى البحث بالانجليزية بترتيب ورودها

---

| | |
|---|---|
| The Balfour Declaration | وعد بلفور «تصريح بلفور» |
| The Jewish People | الشعب اليهودى |
| The Zionist Movement Zionism | الحركة الصهيونية |
| The National Home | وطن قومى |
| | أرض الميعاد |
| The Land of Promise (The Promised Land) | |
| The Civil and Religious Rights | الحقوق المدنية والدينية |
| The Diaspora | التشتيت « التيه اليهودى » |
| | مملكة السامرة « مملكة اليهود الشمالية » |
| The Kingdom of Samaria | |
| | مملكة يهوذا « مملكة اليهود الجنوبية |
| The Kingdom of Judah | |
| The Crusades | الحروب الصليبية |
| The Ghetto | الجيتو «حارة اليهود» |
| Jerusalem | بيت المقدس |

| | |
|---|---|
| The Political Status | الوضع السياسي |
| | المحاولة والخطأ « عنوان مذكرات وايزمان » |
| Trial and Error | |
| The Jewish State | الدولة اليهودية |
| Sons of Zion | أبناء صهيون |
| The Egyptian Question | المسألة المصرية |
| The British Bledges to the Arabs | العهود البريطانية للعرب |
| Palestine | فلسطين |
| Bethlehem | بيت لحم |
| Acre | عكا |
| Nazareth | الناصرة |
| Hebron | الخليل |
| Uganda | أوغندة |
| Sykes-Picot Agreement | اتفاقية سيكس ـ بيكو |
| Strategy of War | استراتيجية الحرب |
| The Holy Land | الارض المقدسة |
| Transjordan | شرق الاردن |
| | مراسلات الحسين ـ مكماهون |
| Hussein-McMahon Correspondences | |
| International Administration | ادارة دولية |
| The Allies | الحلفاء |
| Manchester Guardian | صحيفة المانشستر جارديان |

| | |
|---|---|
| حماية بريطانية على فلسطين | A British Protectorate in Palestine |
| العلامات الانجليزية الصهيونية | The Angio-Zionist Relations |
| مادة الاسيتون | Aceton |
| لجنة مورجانتو | Morgenthau Commission |
| الوكالة اليهودية | The Jewish Agency |
| انشاء | Establishment |
| اعادة انشاء | Re-establishment |
| الاستعمار والخيانة | Colonisation and Treason |
| عصبة الامم | The League of Nations |
| نظام الانتداب | The Mandate System |
| مؤتمر سان ريمو | San Remo Conference |
| مجلس الحلفاء الاعلى | The allies Supreme Council |
| تفاهة يسمونها اسرائيل | Trash so called Israel |
| القومية العربية | The Arab Nationalism |
| وعد اهوج | Crazy Promise |
| تاجر البندقية | The Merchant of Venice |
| اسماعيل « ولد ابراهيم من هاجر » | Ishmael |
| اسحق « ولد ابراهيم من سارة » | Isaac |